

تاريخ الدراسات اللغوية والمعجمية في عصر النهضة

* فيروز حريجي

تاريخ الوصول: ٩٢/٣/١٦

** محمود شكيب

تاريخ القبول: ٩٢/٧/١٧

*** حامد واحدي كرج آباد

المخلص

منذ أواخر القرن التاسع عشر أخذ مفهوم اللّغة طبيعتها ووظيفتها ودراستها في التغيّر. وقد أحدث ذلك التغيّر جهود ملاحقة بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم وصفاً وتاريخياً ومقارنة، وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامّة في اللّغة تكشف عن حقيقتها نشأة وتطوراً. إنّ الخليل أول من وضع المعجم في اللّغة العربية، وأول من وضع معجماً شاملاً في اللغات العالمية، وللمعجمات دور هام في إنتقال الثقافة والعلم والمعاني من جيل إلى جيل آخر؛ المناهج المعجمات في اللّغة العربية منهجين: المنهج المعاني والمنهج الألفاظ. علماء اللّغة في الأوربا والأمريكا في القرن التاسع عشر والعشرين وضعوا دراسة جديدة في علم اللّغة.

الكلمات الرئيسية: تاريخ اللّغة، المعجم العربي، الدراسات الجديدة اللّغوية، منهج المعجمات.

* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية، قسم اللّغة العربيّة وأدابها، فرع علوم وتحقيقات بطهران (استاذ).

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية، قسم اللّغة العربيّة وأدابها، فرع علوم وتحقيقات بطهران (استاذ).

Vahedi.h@yahoo.com

*** طالب الدكتوراه في جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم وتحقيقات بطهران.

الكاتب المسؤول: حامد واحدي كرج آباد

المقدمة

إنّ مطالع النظرة الحديثة إلى اللّغة ودراستها في القرن التاسع عشر، وهي مدينة إلى حدّ كبير بما كان قبل هذا القرن (من عصر النهضة إلى أوائل القرن التاسع عشر) من جهود، هيأت لها سبل التقدّم. فقد كثرت أمم الأرض التي سيطر عليها الغربيون أو احتكّوا بها والتي أوفدوا إليها إرسالياتهم الدينيّة وسفراءهم السياسيّين، وكان لهذه الإرساليّات وللبعض الأفراد فضل كبير في التّعرف على لغات جديدة وفي جمعها وإبداء ملاحظات عنها وكتابة أنحائها ووضع معاجم لها.

أهمية البحث

إنّ حركة اللّغوية في العالم في أيّ زمان تكون على فلسفة زمانها؛ وتأثر بها علماء اللّغة كما تأثر سواهم. ظهور المناهج الجديدة على أساس فلسفة جديدة أو تصوّرات عامّة جديدة، هي أنّ طبيعة التغيّرات اللّغويّة نفس طبيعة التغيّرات التي تحدث في العالم الطبيعي وهكذا قال بعض علماء اللّغة إنّ ما يعرض للغات من تغيّر إنّما هو بفعل قوانين عمياء. البحث حول التاريخ الدراسات اللّغويّة والمعجميّة يكشف رموز التفكير الفلسفي في نظامات اللّغويّة في العالم.

منهجية البحث

يجمع البحث بين التّوجهين النظري والوصفي ليكون الثاني حجة على صحة الأوّل في الترتيب التاريخي للدراسات اللّغوية والمعجمية، فإذا كانت الأفكار النظريّة تتّبع المنهج الوصفي للظواهر والعوامل الفنيّة فإنّا للدراسة التاريخيّة تعتمد المنهج اللّغوي التحليلي الفني.

البحث

تعرض الفلاسفة اليونانيين من القديم الزمان في بحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة. ومعنى هذا أنّ الدّراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني

ومواكبة لتقدمه وتطوره. وقد تكلم أرسطو مثلاً عن الفرق بين الصوت والمعنى وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل الفكري، وميّز أرسطو بين أمور ثلاثة:

أ- الأشياء في العالم الخارجي

ب- التصورات = المعاني

ت- الأصوات = الرموز أو الكلمات

وكان تمييزه بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى (علم الدلالة: ١٧).

قبل عصر النحاة

١- إن النظر في اللغة قديم جداً. قد يرجع إلى وقت أن أخذت الجماعات البشرية في الكلام ثم دقّ نسبياً بعد نشأة الكتابة؛ ولكن الدراسة العلمية حقاً للغة حديثة؛ وتصوّرات البشر عن اللغة أخذت؛ فإله "تحوت" عند قدماء المصريين كان قلب "رع" ولسانه وعن طريقه نطقت وصية الله في الأرض فوجدت الخليقة، واليونان كذلك قد تخيلوا خالقاً للغة والكتابة، وكذلك الحال عند الهنود وعند غيرهم من الأمم القديمة. شغل القدماء بالبحث في النشوء اللغة وفي تعدد اللغات وإختلافها ونجد شواهد على ذلك في سفر التكوين، فالإنسان الأول قد اخترع أسماء للحيوان؛ وقصة بابل تفسر تعدد اللغات.

٢- ثم إنّ إختراع الكتابة التي تمثّل الكلام بأيّ صورة من الصّور تعتبر نوعاً هاماً من أنواع النظر في اللغة، وهذا الإختراع حدث هام في تاريخ البشرية: إنّ هذا الإختراع مع إختلاف كتابات الجامعات المختلفة، قد دفع بالدراسات اللغوية خطوة كبيرة إلى الأمام (البحث اللغوي عند العرب: ١٥٦).

عند الهنود

أثر عن الهنود أصحاب الخطّ داوناغري (Davenagri Script) الرائع الدقيق نحو وصفى دقيق للغة السنسكريتية لا يعتمد على المنطق شأن نحو اليوناني (البحث اللغوي عند العرب: ٩٢).

وقد وصف بانيني Panini وهو نحوى هندي عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد، القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية وصفاً يبلغ درجة كبيرة من الدقة حتى إنه يحكى فى بعض الروايات أنه تلقى هذا العلم عن طريق الوحي والإلهام. قد تناولت الأجيال التالية عمله بالشرح والتعليق ويرى المحدثون من علماء اللغة أن بانيني هو خير نحاة الوصفيين القدماء (مدخل إلى علم اللغة: ٩٨-٩٩).

لم يكن الهنود أقلّ إهتماماً بمباحث الدلالة من اليونانيين. فقد عالجوا منذ وقت مبكر جداً كثيراً من المباحث التى ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل؛ بل لا نغالى إذا قلنا إنهم ناقشوا معظم القضايا التى يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة (البحث اللغوى عند العرب: ٩٩).

الف) نشأة اللغة عند الهنود: كان موضوع نشأة اللغة أو كيفية إكتساب بعض الأصوات لمعانيها لأول مرة من المشكلات التى لفتت أنظار علماء الدلالة الهنود. وقد اختلفت فيها وجهات النظر بين إعتبار اللغة القديمة وهبة إلهية ليست من صنع البشر وإعتبارها من إختراع الإنسان ونتاج نشاط فكرى (علم الدلالة: ١٨).

ب) العلاقة بين اللفظ والمعنى؛ جذب هذا الموضوع إهتمام الهنود ربّما قبل أن يجذب إهتمام اليونانيين قد تحدّد حوله الآراء. فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى، ومنهم من صرح بأنّ العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية طبيعية، ومنهم من قائل بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، ومنهم من رأى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة ولكنّه طبقاً لإرادة إلهية (الدلالة عند اللغويين العرب: ١٩).

اليونان

أثر عن اليونان القدماء، كذلك آراء صوتية لغوية ومحاولات لوصف اللغة اليونانية:

١- ولما كان اليونان فلاسفة أكثر من كونهم علماء دين فقد كانت نظرتهم متافيزيقية شيئاً ما، فلقد تساءلوا عن ماهية اللغة وعن أصلها وعن ماهية الكلمة وتساءلوا: هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشئ الذى ترمز إليه؟ أتعلّق المعانى

بالكلمة تعلق بالطبع أم بالإصطلاح؟ ذهب إلى الرأى الأول بروديكوس *prodicus* وسوفسطاىو القرن الخامس قبل الميلاد(علم اللّغة عكاشة: ١٢٢).

٢- ومن أمثلة نظر يونان فى أصل اللّغة أنّ هيرودت يروى فى القرن الخامس قبل الميلاد أنّ أسماتيك *Psammethikus* فرعون مصر، وقد أراد أن يعرف أىّ الأمم أعرق وأصل، عزل طفلين حديثى الولادة وحدهما فى حديقة. فلمّا أخذ فى الكلام نطقاً بكلمة *Bekos* وهى الكلمة الفريغية *Phrygian* التى تدلّ على خبز(علم اللّغة عكاشة: ١٣٠).

٣- *أفلاطون* (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) فى محاوراته المسّمات كراتيلوس *Cratylus* يناقش أصل الكلمات؛ ويناقش مسألة هامّة ظلّت تشغل اللّغويين والمفكرين أزمنة طوالاً هى مسألة العلاقة بين الأدباء والكلمات التى تسمّيها، هى علاقة طبيعىة وضروريّة أم أنّها لا تعدو أن تكون ثمرة اصطلاح الجماعات؟(علم اللّغة وافى: ٧٠).

٤- لم يدرس قدماء اليونان سوى لغتهم ولكنهم سلموا بأنّ بنية لغتهم تجسّم الصّور العامّة للتّفكير الإنسانى؛ أو ربّما تجسّم الصّور العامّة للنّظام الكونى بأسره. فملاحظاتهم اللّغوية محدودة بلغتهم ومقرّرة فى صورة فلسفيّة.

٥- إنّ الصّفة الغالبة على النّحو اليونانى هى الكشف عن قواعد تميّز الصّواب الكلام من خطئه ثمّ فرض هذه القواعد، فالنّحو اليونانى بهذا الإعتبار نحو تقعيدى تعليمى(علم اللّغة وافى: ٨٨).

٦- ف «إلياذة» و «أوديسا» كانتا مكتوبتين بلغة يونانيّة قديمة كانت غير معروفة وقت كبار النّحاة، فكان عليهم أن يدرسوا لغتهما وأن يقابلوا بين نسخها المختلفة نصّها(علم اللّغة وافى: ٨).

الرّومان

كان الرّومان تلامذة لليونان فى الدراسات اللّغوية، وقد سبق أن عرفنا تعريفاً مجملأ بما أثر عنهم من ملاحظات صوتية(علم اللّغة وافى: ٨٦-٩١)؛ وقد أخذت الرّومان تشارك فى الدراسات اللّغوية منذ القرن الثانى قبل الميلاد. وقد وضع الرّومان أنحاء للّغة اللاتينية على غرار النحو اليونانى ومعنى ذلك أنّهم وضعوا لغتهم فى الإطارات التى تصوّرها اليونان للّغتهم اليونانيّة وهذا خطأ منهجى كبير(البحث اللّغوى الحديث فى العالم العربى: ٦٤).

ومن أشهر النحاة الرومان *Vairo فارو* من القرن الأول قبل الميلاد وقد كتب *De Lingua Latina* = عن اللغة اللاتينية؛ و*Donatus دوناتوس* من القرن الرابع بعد الميلاد وقد كتب *Ars Grammatica* = صناعة النحو؛ و*Priscian* من القرن السادس قبل الميلاد (البحث اللغوي الحديث في العالم العربي: ٦٦).

العصور الوسطى وعصر النهضة

لم شهد العصور الوسطى في أوروبا خطوات أصليّة في الدراسات اللغوية، وكان الأمر السائد هو تعليم اللغة اللاتينية. وقد نظمت قواعد النحو اللاتيني شعراً في القرن الثالث عشر، ولم يضيف علماء هذه العصور شيئاً جديداً إلى قواعد اللاتينية التي وصل إليها القدماء ولكنهم عرضوها بصورة أكثر إتقاناً في أواخر العصور الوسطى تحدّد إهتمام العلماء والمتعلمين بدراسة اللغة اليونانية.

وهكذا إستمرّ التأثير باليونان – الذين أخذ عنهم الرومان القدماء – وبالرومان، وظلّت المبادئ والتصورات اللغوية المتداولة هي تلك المبادئ والتصورات القائمة على أساس من المنطق (التطور النحوى للغة العربية: ٢٦٠).

العصور الوسطى في الشرق

١- نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم، فعنى المسلمون منذ القرن الأول الهجرى بتدقيق الكتابة العربية وتقييد الحروف الكتابية بالشكل صوتاً لكلام الله عزّ وجلّ عن أن يصيبه التحريف (ن.م: ٢٧٦).

٢- وفي هذا الوقت بدأت المحاولات وتوالت للكشف عن القواعد التي يسير عليها الكلام العربي ولوضع هذه القواعد في قوالب تتخذ للتعليم. ويبرز في هذه المحاولات إسم *أبي الأسود التّوّلى* ومن وليه من نحاة البصرة والكوفة، إلى أن يأتي *الخليل بن أحمد الفراهيدى* و*الخليل* شأن جليل في كثير من الجوانب الدراسات اللغوية.

فقد استخرج أوزان الشعر العربى وأحكام قوافيه وخطى بالمحاولات النحوية والصرفية السابقة خطوات كباراً، تبدو آثارها في كتاب تلميذه *سيبويه* ووضع أول معجم شامل المفردات العربية وهو المعروف بـ "العين".

٣- ثمّ كان كتاب سيبويه أقدم كتاب وصل إلينا فى النحو العربى والذى إتخذ أساساً لما ولىه من دراسات نحوية، وقد تعدّد مدارس النحو ومذاهبه فى البلاد العربية والإسلامية المختلفة وفى العصور المختلفة فى العراق ومصر والشام وشمال إفريقيا والأندلس وفارس و... (التطور النحوى للغة العربية: ٢١٨).

٤- وكانت عناية علماء العربية بالمفردات الكلام العربى، وكانوا يسمّون هذا العلم "اللغة" عناية بالغة منذ القرن الأوّل للهجرة وظلّت هذه العناية متواصلة، فكان جمع المفردات الخاصة بموضوع معيّن، ككتاب الشجر، أو المطر أو جمع المفردات الغربية كغريب القرآن وغريب الحديث وحوشى الكلام أو جمع الأضداد أو تأليف فى الترادف والإشتراك اللفظى (دلالة الألفاظ: ٢١٠-٢٢٠).

وعنى العرب من قديم ببيان الكلمات الأعجمية الأصل الدخيلة على الكلام العربى، ونصّوا على ما فى لغة القرآن الكريم من الأعجمى ولهم فى المعربّ تصانيف كثيرة من أشهرها كتاب المعربّ للجواليقى، ومن عنايتهم بمفردات اللغة تأليفهم فى مصطلح الفنون والعلوم. وتبلغ هذه العناية ذروتها فى المعاجم العامّة ومن المعروف أنّ أوّل معجم فى هذا النوع وضع فى القرن الثانى للهجرة (دلالة الألفاظ: ٢٣١-٢٤٦).

٥- ولم يكتف علماء العربية بالكشف عن الأصول، بل عنوا بالبحث فى أسباب الفصاحة الكلمة وبلاغة الكلام... وقد اتّصلت بلاغة العربيّة كما اتّصل النحو العربى بالمنطق، وقد أصابت الدّراسات البلاغية الجفاف والعقم لما غلب عليها الإتجاه المنطقى الفلسفى (علم اللغة عكاشة: ١٣٧).

٦- وكان للدراسات النقدية العربية أثرها فى الكشف عن بعض أسرار الجمال فى العبارة العربية.

٧- وقد أثر عن العلماء العربيّة تصوّرات عامّة عن اللغة نشأتها وحياتها وعن الصّلة بين اللفظ ودلالته (دلالة الألفاظ: ٦٠-٦٣) وعن القياس اللغوى (من أسرار اللغة: ١٨-٢٢) وممّن إهتمّ بهذا على وجه الخصوص أبو على الفارسى وابن جنّى وسيوطى فى «المزهر».

٨- واهتمّ علماء العربية بتاريخ الدراسات اللغوية العربية؛ فكانت المعاجم والمؤلّفات المشهورة فى طبقات اللغويين و النّحاة فى تلخيص آراء بعض المدارس النّحوية (علم اللغة عكاشة: ٢٧٠).

تنوّعت إهتمامات العرب بعد ذلك فغطت جوانب كثيرة من الدّراسة الدّلالية ومن ذلك:

١- إهتمام اللّغويين التي تمثّلت فيما يأتي:

(أ) محاولة/إبن فارس الرائدة - في المعجم مقاييس - ربط معاني الجزئية للمادة بمعنى عامّ يجمعها.

(ب) محاولة زمخشري النّاجحة - في أساس البلاغة - التّفرة بين المعاني الحقيقيّة والمعاني المجازيّة.

(ت) محاولة/إبن جنّي ربط تقلّبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله: وأمّا ك ل م فهذه أيضاً حالها، وذلك أنّها حيث تقلبت فمعناها الدّلالة على القوّة والشّدّة. والمستعمل منها أصول وهى: ك ل م، ل ك م، م ك ل، م ل ك، وأهمّلت منه ل م ك (الخصائص: ١٣/١).

(ث) البحوث الدّلالية التي إمتلأت بها كتب مثل المقاييس لإبن فارس - الصّاحبي في فقه اللّغة لإبن فارس - الخصائص لإبن جنّي - المزهر للسيوطي و

٢- إهتمام الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين التي تمثّلت فيما

يأتي:

(أ) عقد الأصوليين أبواباً للدّلالات في كتبهم تناولت موضوعات مثل دلالة اللفظ - دلالة المنطوق - دلالة المفهوم - تقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء - التّرادف - الإشتراك - العموم والخصوص - التّخصيص والتّفيد... وهناك بحوث كثيرة تحدّثت عن الجهود اللّغويّة لعلماء الأصول مثل بحث صلة علم الأصول باللّغة للدكتور محمّد فوزي فيض الله، وبحث لغويّة تطوّرت على أيدي علماء الأصول للأستاذ محمّد تقى الحكيم.

(ب) تجد دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلّفات الفارابي وإبن سينا وإبن رشد وإبن حزم والغزالي والقاضي عبدالجبار وغيرهم... مما يحتاج تفصيله إلى مؤلّف مستقلّ (علم الدّلالة: ٢١).

٣- إهتمامات البلاغيين التى تمثلت فى دراسة الحقيقة والمجاز، وفى دراسة كثير من الأساليب كالأمر والنهى والإستفهام ... وفى نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وغيرها ... (علم الدلالة: ٢).

عصر النهضة وما يليه

١- فى عصر النهضة إتسع أفق الدراسات اللغوية فى أوروبا نتيجة عوامل متعددة منها حركة الإحياء للتراث اليونانى والرومانى والحركات الوطنىة ورحلات الكشوف الجغرافية التى وصلت الأوروبيين للغات كثيرة، وحركة التبشير المسيحى التى صحبت الكشوف الجغرافية. وقد نتج عنها قيام البحوث التبشيرية المسيحية بترجمة الكتب المسيحية المقدسة إلى لغات البلاد المكتشفة، ووضع أنحاء ومعاجم لبعض اللغات وإن كانت هذه الأعمال غير دقيقة.

٢- منذ أواخر العصور الوسطى وخلال عصر النهضة وعناية الأوروبيين بأثار كبار الأدباء اليونان والرومان آخذة فى الإزدياد. وقد أخذ المولعون بتلك النصوص يهتمون بالأسلوب أكثر من إهتمامهم باللغة. وفى هذا العصر بدأ نقد النصوص (علم اللغة عكاشة: ٢١٠).

٣- ثم أخذ لغويو أوروبا فى دراسة لغات أخرى غير اللغتين الكلاسيكيتين اليونانية واللاتينية؛ فدرسوا بعض اللغات السامية وخطوطها كالسريانية والعبرية والعربية والحشبية؛ ومن أشهر المستشرقين فى هذا العصر المستشرق إيطالى أمبروجيو ولئوناردو أبلا (تاريخ اللغات السامية: ١٠٥).

٤- وشهد القرن السادس عشر والسابع عشر عناية كبرى باللغات الدرافيدية، لغات جنوب هند.

٥- كان البرتغاليون أول الشعوب الأوروبية إحتكاً بالهند. ومعظم الدراسات الأولى فى اللغات الهندية قام بها برتغاليون (علم اللغة وافى: ٢٩٨).

ليس معنى وجود الإهتمامات السابقة بمباحث الدلالة أن علم الدلالة قديم فى نشأته قدم الدراسات اللغوية، ولكننا نقول إن بعض مباحثه قد أثرت، وبعض أفكاره قد طرحت للمناقشة، ولكن دون تمييزه عن غيره من فروع علم اللغة، بل حتى دون تمييزه عن علوم

أخرى تعد الآن غريبة عليه. وبذلك نقول إن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم وبمناهج بحثه الخاصة؛ وعلى أيدي اللغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة، وواحدة من أهم نتائجها (دلالة الألفاظ: ٢٢).

وقد ظهرت أوليات هذا العلم منذ أواسط القرن التاسع عشر وكان من أهم المساهمين في وضع أسسها:

١- *Max Muller* الذى صرح فى كتابين بعنوانى: *The science of Language* 1862

وكتاب *The Science Of Thought* 1877.

٢- *Michel Breal* اللغوى الفرنسى الذى كتب بحثاً بعنوان مقالة فى السمانتيك (*Essai de Semantique*) (١٨٩٧م) وقد ظهر فى طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنوات فقط، وكان أول من إستعمل المصطلح "سيمانتيك" لدراسة المعنى وصارت الكلمة مقبولة فى الإنجليزية والفرنسية (البحث اللغوى: ٦٧-٦٩).

٣- فى سنة ١٨٨٠ م أصدر *هرمان بول Hermann Paul* بالألمانية كتابه المشهور «أصول التاريخ اللغوى؛ *Principles of the History of Language*» (علم اللغة عكاشة: ٣١٠).

٤- كتب *ولهلم فون همبولت* الألمانى (١٧٦٧-١٨٣٥م) من جملة ما كتب بحثاً عن إختلاف الكلام الإنسانى ظهر سنة ١٨٣٦ م أى بعد موت مؤلفه بسنة (علم اللغة عكاشة: ٣١٠).

٥- ومن أعلام اللغويين الإنجليز فى القرن التاسع عشر، *هنرى سويت* (١٨٤٥-١٩١٢م) يقول سويت: «إننا أكثر عناية باللغة الحية وبالدراسات اللغوية الوصفية»؛ ويعد كتابا *سويت* على غاية من الأهمية فى علم الأصوات اللغوية فى القرن التاسع عشر. وكتابه: *Primer of Spoken English* = التمهيد فى الإنجليزية الملفوظة *Handbook of phonetics* = الموجز فى علم الأصوات اللغوية (علم اللغة عكاشة: ٣١١).

٦- ثم أظهرت محاضرات *فرديناند دى سوسير* (١٨٥٧-١٩١٣م) التى نشرها تلاميذه سنة ١٩١٦م أهمية الفصل القاطع بين اللغة، من حيث هى نظام مستقر وبين اللغة من

حيث هي تغير لغوى، وقد تأثر دى سوسير وأكثر تلامذته بمذهب إميل دوركيم في علم الاجتماع وهو كان صديقاً لفرديناند دى سوسير (علم اللغة وافى: ٢٩٩).

٧- أما يسبرسن فهو مشهور بكتابه «اللغة» الذى ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢م، وهو خطوة كبيرة فى سبيل تاريخ اللغة وكتابه «فلسفة النحو» philosophy of Grammar ونحو اللغة الإنجليزية إلى آخر مؤلفاته الكثيرة ويمتاز يسبرسن بالوضوح وبتقريب النظرات اللغوية المعقدة إلى جمهور كبير.

٨- أما بدرسن Pedersen فهو معروف بكتابه فى تاريخ الدراسات اللغوية فى القرن التاسع عشر: Linguistic Science In The Nineteenth century.

٩- كتاب «اللغة» لبلومفيلد هو عمدة الأمريكيين. فبلومفيلد يبدأ من الصور اللغوية لا من معانى الصور، وقد يكون على أساس مقاييس صورية خالصة نظاماً كاملاً من الوحدات اللغوية الصغرى (الفونيمات)، ومن تصرفاتها ومن الصلات العامة بينها، ومن الصور النحوية والنظم وأنواع الجمل (أبحاث فى اللغة العربية: ٣٢٣).

١٠- أما اللغوى الثانى من لغوى أمريكا فى القرن العشرين فهو إدوارد سابير. ولم يكن سابير سلوكياً ولقد اقترح سابير تصنيفاً للنظم اللغوية على أساس البنية اللغوية (علم اللغة عكاشة: ٣٣٠).

أهمية المعاجم اللغوية

إنّ اللغة كما هو معروف تتسع وتنمو وتطور من حيث مفرداتها وتراكيبها وصيغها وأساليبها تبعاً لتطور الناطقين بها فكرياً وحضارياً، وتبعاً لتطورات الحياة وظروف العيش وأحوال الإنسان المتغيرة: «إنّ الألفاظ تابعة للحياة، إنّها تتحول بتحولها، فكما أنّ الحياة لا تثبت على طور من الأطوار الأواصر» (الألفاظ والحياة: ٢٠).

إنّ من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة والحفاظ عليها نامية متطورة هو تأليف معاجم تحفظ مفردات اللغة القومية؛ إنّ المعاجم اللغوية هي بلا شكّ خزائن اللغة وكنوزها التى يستمدّ منها الإنسان، وما يثرى حصيلته اللغوية وينميها ويجعلها مرنة طيعة فى مجالى الأخذ والعطاء: مجال الإستيعاب والفهم والتوسّع الفكرى والنموّ العلقى والمعرفى، والمجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافى (المعاجم اللغوية العربية: ٢٤).

على ضوء هذه المقدمة العامة سننظر في المعاجم العربية لنرى كيف جمعت لغتها وكيف رتبت كلماتها وكيف أوضعت معانيها. وللمعاجم العربية الشاملة، تاريخ طويل في اللغة العربية. أول من ألف معجماً شاملاً فهو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وألف «معجم العين» وتتابع بعده تأليف المعاجم إلى العصر الحاضر. وألف ابن دريد المتوفى سنة ٢٣١ ق «معجم الجمهرة في اللغة» وألف أبو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦ ق «معجم البارع في اللغة» وألف أبو منصور الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ ق «معجم التهذيب» وألف صاحب بن عبد المتوفى سنة ٣٨٥ ق «معجم المحيط في اللغة» وألف ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ ق «معجم مقاييس اللغة» وألف الجوهري المتوفى سنة ٤٠٠ ق «معجم الصحاح في اللغة» وألف ابن سيده المتوفى ٤٥٨ ق «معجم المحكم والمخصّص» وألف الزمخشري المتوفى ٥٣٨ ق «معجم أساس البلاغة» وألف الصاغاني المتوفى ٦٥٠ ق «معجم العباب» وألف ابن منظور المتوفى سنة ٧١١ ق «معجم لسان العرب» وألف الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ ق «معجم قاموس المحيط» وألف الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ ق «معجم تاج العروس» وألف بطرس البستاني المتوفى سنة ١٢٨٣ ق «معجم المحيط» و«قطر المحيط» وألف الشرتوني المتوفى سنة ١٩٠٧ م «معجم أقرب الموارد» وألف الأب لويس معلوف المتوفى سنة ١٩٢٨ م «معجم المنجد» وصدر من المجمع اللغوي سنة ١٣٨٠ ق «المعجم الوسيط». كما أن غير العرب من العلماء شاركوا في العصر الحديث في صنع المعاجم العربية ومنها «معجم مد القاموس» ب Arabic-English Lexicon لإدوارد ويليام لين. و «معجم هانس وير» Hans wehr الذي ظهر بالألمانية سنة ١٩٥٢ م وظهر بالإنجليزية باشتراك المؤلف مع الأستاذ جان ميلتون *J. Milton*. بعنوان: A Dictionary Of Modern Written Arabic (المعاجم اللغوية في ضوء دراسات: ٢٦).

لكل نوع من الأنواع المعاجم المذكورة قديمها وحديثها ولكل المعاجم التي تفرعت أو تتنوع مستقبلاً عنها بلا شك وظيفة خاصة، وربما وظائف وأغراض لغوية متعددة، ولكل منها بلا شك دور كبير في إثراء المحصول اللفظي وتنمية المهارات البيانية للفرد قد لا يمكن لأي نوع آخر أن ينوب في تأديته. ولئن كانت المعاجم اللغوية العامة تتصف عادة بالشمول وغزارة المادة وسعة المحتوى كما أنه متسعة لعامة ألفاظ اللغة المشتركة

وبمختلف خصائصها وأنواعها وبذلك فهي تشتمل على طوائف من المفردات التخصصية الشائعة (دور الكلمة في اللغة: ٣٣).

دراسات اللغة في الشرق العربي ومراحل جمع اللغة

إنّ هذه الدراسة في البلاد الناطقة بالعربية لاتزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية، المنقطعين لها، المنصرفين إليها. فهم قد يفهمون من دراسة اللغة، دراسة النحو والصرف والإشتقاق وحوشى الكلام، أو الإشتغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك مما لا تدعو حاجة إلى إستقصائه.

من المقطوع به عند أهل اللغة أنّ البادية هي كنز اللسان العربي الفصيح وكانت اللغة تروى وتنقل عن الفصحاء مجملة، فالدراسة اللغوية لا زالت في المهده وقتذاك إذ لم تعرف بعد مستويات اللغة كما هي الآن والتفاصيل الكثيرة من الناحية الشكلية خاصة؛ فالقدامى يفتقدون حقيقة لمعيار شكلى واضح ينتفون على حسبه فيأخذون ما هو موافق ويطرحون غير ذلك؛ هذا وقد مرّ جمع اللغة العربية بمراحل يذكر/أحمد/أمين أنّها ثلاثة:

١- **المرحلة الأولى:** جمع اللغة العربية أمر عظيم جداً لمن يعرف قيمة هذه اللغة، فالجمع في بدايته كان بسيطاً إذ يرحل العالم وطالب اللغة إلى البادية ويدوّن ما سمع من غير ترتيب ولا تبويب؛ المهمّ أن يحفظ ويدوّن (ضحى الإسلام: ٢٦٣/٢)

٢- **المرحلة الثانية:** وفيها عمل العلماء على جمع الكلمات ذات الحق الدلالي الواحد في موضع واحد، وهذه بداية كتب الموضوعات (معاجم المعاني) أو الرسائل اللغوية الإفرادية فمنها «كتاب اللّبن» لأبى زيد و«كتاب المطر» و«كتاب الإبل» و.. و«كتاب أسماء الوحوش للأصمعي» (ضحى الإسلام: ٢٦٣/٢).

٣- **المرحلة الثالثة:** هي مرحلة النضج حيث تمّ تأليف المعاجم وفق منهج علمى دقيق على نمط خاصّ فى الترتيب ولا مجال للعشوائية فيها، فمن أراد الحصول على معنى كلمة فطريقة البحث يسيرة وبلوغ الغاية ممكن وكان «كتاب العين» للخليل بن أحمد الفراهيدى أوّل هذه المعاجم حيث قدم الرجل عملاً معجمياً علمياً منهجياً بحق ثمّ تلتها معاجم أخرى (ضحى الإسلام: ٢٦٥/٢).

دوافع التأليف المعجمى عند العرب

إنّ فهم القرآن والسنة يتوقفان على الدراية باللغة العربية ويقول أهل العلم ما كان وسيلة الواجب يأخذ حكم الواجب أيضاً، ومن ثمّة حرص العلماء واللغويين على الحفاظ على لغتهم فدوّتوها فى المعاجم. هذا ويذكر أحمد عبد الغفور عطار كلاماً نفيساً فى سبب تأليف المعجمات حيث قال: «كان القصد من تأليف المعاجم وكتب اللّغة حراسة القرآن الكريم من أن يقتحمه الخطأ، وحراسة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لاترضى العربية عنه، وصيانة هذه الثروة من الضياع. فكما أن كتابة المصحف كانت بسبب استمرار القتل فى الصحابة حفظة القرآن من أن يضع شيء منه فكذلك دوّت اللّغة بوساطة المعجمات والكتب اللغوية خشية من أن يضع بعض موادها (مقدمة الصحاح: ٤٢-٤٣).

أنواع المعاجم العربية

لا تعرف أمّة من الأمم فى تاريخها القديم والحديث قد إفتنت بأشكال معاجمها وطرق تبويبها كما فعل العرب، وقد تعدّدت طرق وضع المعجم العربى حتى كادت تستنفد كل الإحتمالات الممكنة؛ ذلك أنّها لم تسر جميعاً على نظام واحد فى ترتيب ألفاظ اللّغة وموادّها وإن المتتبع لها يرى أنّها نظم عدة، تتفق حيناً وتتفاوت أحياناً أخرى ولكن هذه المعجمات جميعاً تقوم على ملاحظة جانبى الكلمة (اللفظ والمعنى) أو (الدالّ والمدلول) فكانت المعاجم العربية مرتّبة إمّا على الألفاظ وإمّا على المعانى. وعلى هذا الأساس فقد تنوعت مناهج العمل المعجمى عندهم. فمنهم من إختار جمع المادة بحسب الموضوعات مبيّناً لها حسب المعانى ومنهم من جمع المادة بحسب الألفاظ مرتّباً إيّاها ترتيبه الخاصّ وقد اختلفت لدى الطائفتين طرق الترتيب فلكلّ عالم إجتهاده ورؤيته الخاصّة (اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٠).

الأول؛ معاجم المعانى: هو المعجم الذى ترتّب ألفاظه على معانيها وموضوعاتها، وذلك بوضع الألفاظ التى تدور فى فلك واحد وحول موضوع واحد فى كتب وأبواب أو فصول واحدة.

الثانى؛ معاجم الألفاظ: ويراد بها المعاجم التى تعالج الألفاظ فتضبطها وتظهر أصولها وتصاريحها ومعانيها، ويكون لها نمط خاصّ فى ترتيب الألفاظ مبنى على أحرف الهجاء

سواء من حيث مخارجها الصوتية كما هو عند *الخليل* فى كتابه «العين»، أو من حيث حرفها الأخير كما فعل *الجوهري* فى «الصحاح»، أو من حيث حرفها الأول كما فعل *الزمخشري* فى «أساس البلاغة» (نشأة المعاجم العربية وتطورها: ٤٣).

نتيجة البحث

للدراسات اللغوية دور كبير فى اللغة العالمية خاصة فى اللغة العربية؛ لأنها تبحث حول نظام النحو والصرف والبلاغة والنقد وكل موضوع اللغة، وتعالج قضاياها التى تحيط باللغة العربية. أصحاب اللغوى الذين ألفوا كتب عديدة وفخيمة حول علم اللغة والمعاجم وضعوا أسس اللغوية على أساس الفلسفة والمنطق فى إطار أفكار شعوبهم؛ إن لعلماء اللغة العربية فى القرون الوسطى وأيضاً فى عصر النهضة كتب هامة فى علم اللغة وجزدير بالذكر أن توسع الفكرى اللغوى فى الغرب والأمريكا نتيجة مساعى الذين سعوا فى الشرق العربى من الفلاسفة واللغويين والأصوليين.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، أنيس. ١٩٨٥ م، دلالة الألفاظ، ط ١، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية.
- إبن جنّي، أبو الفتح عثمان. ١٩٥٢م، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- أمين، أحمد. ١٩٣٥م. ضحى الإسلام، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والشرح.
- عبد الغفور العطار، أحمد. ١٩٨٤م. مقدمة الصحاح، بيروت: دار العلم للملايين.
- معتوق، أحمد محمد. ٢٠١١م. المعاجم اللغوية العربية، ط ٢، بيروت: دار النهضة العربية.
- ولفسون، إسرائيل. ١٩٢٩م. تاريخ اللغات السامية، القاهرة: مطبعة الإعتقاد.
- إستيفن، أولمان. ١٩٧٥م، دور الكلمة في اللغة، ترجمه د.كمال محمد بشر، القاهرة: مكتبة الشباب.
- العطية، أيوب جرجيس. ٢٠٠٦م. الدلالة عند اللغويين العرب، يمن.
- حسان، تمام. ١٩٧٣م. اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد، داوود. ١٩٧٣م. أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان.
- سقال، ديزيره. ١٩٩٧م. نشأة المعاجم العربية وتطورها، بيروت: دار الفكر العربي.
- قاسم، رياض. ١٩٨٢م. البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، ط ٢، بيروت: مؤسسة نوفل.
- جبري، شفيق. ١٣٩٣ ق. الألفاظ والحياة، المجلد الثامن والأربعون، المجمع دمشق: اللغة العربية.
- أبو الفرج، محمد أحمد. ٢٠٠٩م، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط ٢، بيروت: دار النهضة العربية.
- عكاشة، محمود. ٢٠٠٦م، علم اللغة، ط ١، مصر: دار النشر للجامعات.
- فهemy الحجازي، محمود. ١٩٧٨م. مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

المقالات

- صابري، علي. ١٣٨٩ش، «المسرحية نشأتها، ومراحل تطورها ودلائل تأخر العرب عنها»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية في جيرفت، السنة ٢، العدد ٦: ص ٩٩-١١٥.